

فلا  
التنوير الإسلامي

«٦٧»



# السَّامِعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

تأليف  
د. محمد عثمان



الطبعة الأولى  
١٤٢٥ هـ

# السَّامِعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

تأليف  
د. محمد عمارة



اسم الكتاب: الصحافة الإسلامية  
 المؤلف: د. محمد عيسى  
 مترجم: د. دينا محمد إبراهيم  
 تاريخ النشر: الطبعة الأولى (أستط) ٢٠٠٦  
 رقم الإصدار: 15054  
 الترقيم الدولي: ISBN 977-14-5545-8

الإدارة العامة للنشر (الشارع) أحمد شوقي، القاهرة  
 ت: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254) ج: 02 (346254)  
 البريد الإلكتروني: info@nahdetmiser.com

الطابع: ٩٥ منطقة الصناعية (أريحا) - مدينة نصر - القاهرة  
 ت: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254)  
 البريد الإلكتروني: info@nahdetmiser.com

مركز التوزيع: (أريحا) - ٢٨ شارع النيل - مدينة نصر - القاهرة  
 التليفون: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254)  
 ت: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254)

مركز خدمة العملاء: الرقم التليفوني  
 البريد الإلكتروني: info@nahdetmiser.com

مركز التوزيع: (أريحا) - ٢٨ شارع النيل - مدينة نصر - القاهرة  
 ت: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254)  
 مركز التوزيع: (أريحا) - ٢٨ شارع النيل - مدينة نصر - القاهرة  
 ت: 02 (346254) - 02 (327264) فاكس: 02 (346254)

موقع: (أريحا) - ٢٨ شارع النيل - مدينة نصر - القاهرة  
 www.nahdetmiser.com  
 موقع: (أريحا) - ٢٨ شارع النيل - مدينة نصر - القاهرة  
 www.enahda.com



Enahda Publishing House

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/ CD)  
 وتتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع [www.enahda.com](http://www.enahda.com)

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع  
 لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية  
 أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي مسبق من الناشر

السماحة - في المصطلح الحضارى العربى الإسلامى - هي الجود - أى العطاء بلا حدود - وهى المسااملة واللين، فى الآتياء والمعاملات، دونما انتظار مقابل أو ثمن، أو حاجة إلى جزاء.

فشارع الإسلام، سبحانه وتعالى، قد شرعه لهداية العالمين ولتحقيق مصالحهم الشرعية المعقبرة، ومقاصد شريعة هذا الإسلام هي تحقيق ضرورات وحاجيات وتحسينات الاجتماع الإنسابى، ومطلق الإنسابية، فى المعاش والمعاد، والله، سبحانه وتعالى، غنى عن الخلق الذين شرع لهم هذا الهدى النائم، وأفاض عليهم هذه السماحة، والجود بلا مقابل، وبلا حدود.

ولهذه الحقيقة، حال الإسلام من كهانة الأحبار والرهبان، الذين استغلوا أهل دياناتهم مقابل إرشادهم إلى القدين بذلك الديانات.. قال مسلم بأحد دينه من الشارح مباشرة ودون مقابل وهو يؤوب ويتوب إلى بارئه مباشرة دون وساطات أو إتاوات.

ولذلك كانت السماحة صفة لصيقة بالإسلام، ومميزة لهذا الإسلام. كما كانت صفة واقعية تجسدت فى أمته وحضارته وتاريخه، ولم تكن مجرد «مثاليات» استعصت على التطبيق.. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «أنى أرسلت بحنيفية سمحة» (رواه الإمام أحمد) وقال أيضاً: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» (رواه البخارى وأحمد).

## قبل الإسلام

وليس جديداً أن يكتب كاتب عن سماحة الإسلام، ولا أن يقارن بين هذه السماحة الإسلامية ونظائرها في الأنساق الدينية والفلسفية والحضارية الأخرى.

لكن الذي تريد أن تقول هذه الصفحات هو أمر متميز نوعياً في الكتابة حول هذا الموضوع.. فهي تريد أن تقول، من خلال الأصول والمبادئ والقواعد الإسلامية.. ومن خلال تطبيقاتها العملية في الحضارة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي أن السماحة قد بدأت، في التاريخ الإنساني بظهور الإسلام، وإنها قد بلغت فيه مستوى متميزاً لا نظير له خارج الإسلام.

لقد ظهر الإسلام، على يد محمد بن عبد الله ﷺ، وليس في العالم دين ولا حضارة تعترف بالآخر، أو تسالم الآخرين.

فاليهودية التلمودية، قد تحولت إلى «ديانة عنصرية»، يقول لها عهدها القديم: إن اليهود - يحكم الولادة والعرق والدم والجنس - وليس يحكم الدين، والصالح والتقوى - هم شعب الله المختار، وأبنائه وأحيائه! كما يقول لهم عهدهم القديم هذا: إن علاقتهم بالآخرين - كل الآخرين - ليست فقط الكراهية واللعن والإبكار، بل المطلوب منهم أن «يأكلوا» الشعوب الأخرى أكلاً قبايلة الآخرين - عندهم - تكليف إلهي... والآن اقتل كل ذكر بين الصغار وكل امرأة عرفت رجلاً ضاجعها» (سفر العدد - ١٧ - ٣١) «لأنك أنت

شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً  
أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركاً تكون  
فوق جميع الشعوب. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع  
إليك لا تشفق عينك عليهم» (سفر التثنية - ١٦، ١٧، ١٨ - ١٦).

ولقد وصف القرآن الكريم هذه العنصرية اليهودية، المنكرة  
للاخر، بحكم كونه آخر، ولحقه فى الكرامة، بل وفى الوجود.  
وصفها القرآن الكريم فقال:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران ٧٥]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [البقرة ١١٠]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة ١١٣]

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة ١١١]

ولقد بادلت النصرانية اليهودية إنكاراً بإنكار. فطبقت على  
اليهود ذلك المبدأ الظالم الذى ابتدعوه ونسبوه - زوراً وبهتاناً -  
إلى الذات الإلهية، عندما زعموا أن الله يعاقب الخلف بذنوب  
السلف حتى أربعة أجيال! «فالرب - عند اليهود - لا يبرى بل  
جعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع» (سفر  
العدد - ١٤: ١٨).

طبقت النصرانية على اليهود هذا «المبدأ» الظالم، وامتمدت به  
إلى الأبد، فوضعت فى صلواتها لعن كل أجيال اليهود بذنب  
موقف آجدادهم الأولين من المسيح، عليه السلام!



ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإنكار التصرائى للآخر عندما أشار إلى دعواهم احتكار النجاة والجنة والخلاص:

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ [سورة ١١١]

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ [البقرة ١١٣]

ولقد تجسد هذا الإنكار المتبادل للآخر، فى الواقع والممارسة والتطبيق، ثورات واضطهادات طغمت بها كتب التاريخ حيثما وجد اليهود والنصارى فى أى مجتمع من مجتمعات التاريخ.

ونفس هذا الإنكار للآخر، واحتقاره واضطهاده، وتجريده من الإنسانية وحقوقها، صنته «الحضارة» الغربية، فى بدايتها الإغريقية وفى طورها الروماني..

ففى «أثينا» - التى يتسبب إليها ابتداء الديمقراطية - كانت هذه الديمقراطية احتكاراً لقلّة من الفرسان الأشراف الملاك، الذين يجتمعون فى ميدان أثينا، يمارسون الديمقراطية ويتمتعون بجميع حقوقها، أما غيرهم من البشر، فإنهم - برأيهم - «برابرة وهمج» لا حظ لهم فى الديمقراطية، ولا نصيب لهم من أية حقوق للإنسان!

وكذلك كان حال هذه «الحضارة» فى طورها الروماني فعلى الرغم من ابتداعها القانونى، الذى تبلور فى «مدونة» الإمبراطور «جستينيان» (٥٢٧ - ٦٦٥م) إلا أن هذا القانون إنما كان حقاً من حقوق السادة الفرسان والأشراف الرومان.. أما الشعوب الأخرى، فلقد كانوا - برأيهم - «برابرة»، لا حق لهم فى أن يطبق عليهم قانون السادة الرومان!

وإذا شئنا الإشارة إلى «دراسة حالة تطبيقية» لهذا الذي ساد العالم، من إنكار للآخر، واضطهاد كل طرف لكل آخر - قبل ظهور الإسلام وبأن ظهوره - فيكفي أن نشير إلى «حالة مصر».. فلقد شاع فيها اضطهاد أتباع «إخناتون» (١٣٨٠ - ١٣٥٨ ق م) لأتباع الصعيود «آمون».. فلما انتصر أتباع «آمون» بادلوا أتباع «إخناتون» إنكاراً بإنكار واضطهاداً باضطهاد..

فلما ظهرت النصرانية، وعرفت طريقها إلى مصر منتصف القرن الميلادي الأول، لقيت هذه النصرانية إنكاراً شديداً واضطهاداً اقترب من الإبادة على يد وثنية الرومان المستعمرين والوثنية المصرية. ولقد بلغ هذا الاضطهاد الذروة في عهد الإمبراطور «دقلديانوس» (٢٤٥ - ٣١٣ م)، الذي حول النصارى إلى طعام للأسود والذيرار وأسماك البحار؛ حتى لقد أرخ نصارى مصر - ولا يزالون - بعده، وسموه «عصر الشهداء»<sup>(١)</sup> فلما تدينت الدولة الرومانية بالنصرانية، في عهد الإمبراطور «قسطنطين» (٢٧٤ - ٣٣٧ م) حارست القصرية - الرومانية والمصرية - الاضطهاد ضد الوثنية المصرية، فهضمت معابدها، وسحلت وذهبت فلاسفتها وأحرقت مكنتباتها، وعبثت بالآثار المصرية عندما حولت بعضاً منها إلى كنائس وأديرة. حتى لقد قاد الأسقف «تيوفيلوس» - الذي تولى البطركية المصرية ما بين سنة ٣٨٥ م وسنة ٤١٢ م - حملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين، واتجه للقضاء

(١) يوحنا النيقوس (تاريخ مصر ليوحنا النيقوس) ص ٩٠ - ٩٢ ترجمة ودراسة وتعليق د. عمر صابر عبد الحليم طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٠ م



على مدرسة الإسكندرية، وتدمير مكتبتها وإشعال النار فيها. وظالت هذه الإبادة مكتبات المعابد، وتم السحل والحرق لقيسوفة الأفلاطونية الحديثة وعالمة الفلك والرياضيات «إثاتيه» (٣٧٠ - ٤١٥ م).. وذلك فضلا عن تحطيم التماثيل<sup>(١)</sup>.

ثم ما لبث الإنكار والاضطهاد أن أعمالا قانونهما وسيوقهما. بعد اختلاف المجامع النصرانية حول طبيعة المسيح، عليه السلام - فمارست النصرانية الرومانية - «الملكانية» - الإنكار والاضطهاد ضد النصرانية المصرية - «اليعقوبية» - فهرب النصارى المصريون إلى الصحاري والمغارات والكهوف.. وهرب رأس الكنيسة المصرية البطريرك «بنيامين» (١ - ٤١١ هـ / ٦٢٣ - ٦٦٢ م) ثلاثة عشر عامًا، حتى استدعاه وأكرمه وحرره كنائسه ووردها إليه قائد الفتح الإسلامي «عمرو بن العاص» (٥٠ ق. هـ / ٥٧٤ - ٦٦٤ م).. فاتحًا بذلك أولى صفحات كتاب السجاعة والتسامح في تاريخ مصر والمصريين!

كان هذا هو حال الدنيا وواقع العالم وموقف أصحاب الديانات والحضارات من الآخر عندما ظهر الإسلام سنة ٦١٠ م. لم تكن هناك سماحة مع الآخر على الإطلاق.. بل لم يكن هناك اعتراف بالآخر على الإطلاق.. فماذا قدم الإسلام في هذا الميدان؟

\*\*\*

(١) المصدر السابق ص ١٢٢، ١٢٥ - ١٢٠ هـ. صبرى أبو الخير سليم (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) ص ٤٠، ٤١، ٤٩، ١٢٦، ١٦٧، ١٦٨ طبعة القاهرة. سنة ٢٠٠٠ م.

## بِالإِسْلَامِ بَدَأَ تَارِيخُ السَّمَاةِ

لقد بدأ الإسلام بوضع «لبينات عالمية إنسانية جديدة» وغير مسبوقه.. بدأ بالتأكيد على أن الله، سبحانه وتعالى، هو رب العالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة ١]، وليس رب شعب دون شعب، ولا أمة دون غيرها من الأمم.. ثم أكد على أن الإنسان الذي كرمه الله بأن نفخ فيه من روحه ليكون ربانياً هو آدم أبو البشر أجمعين..

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾  
[٢٨١] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ

[الحجر ٢٨ - ٢٩].

ولذلك، فإن التكريم الإلهي هو لمطلق الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء ٧٠].. وليس هذا التكريم حكراً لشعب من الشعوب ولا لأبناء دين من الأديان أو حضارة من الحضارات..

ونفى الإسلام أن يكون التفاوت في مراقب القرب من الله، سبحانه وتعالى، ثمرة «للصفات اللصيقة» (العنصرية).. وجعل هذا التفاوت والتفاضل ثمرة لمعايير متاحة ومفتوحة أبوابها أمام كل إنسان.. فالتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي معايير الصلاح في المعاش والمعاد،

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [الحجرات ١٢].

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ  
لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ٢٢].

ولم يحتكر الإسلام النجاة لأبناء شريعة دون الشرائع الأخرى  
التي جاءت بها الرسالات السماوية في إطار الدين الإلهي الواحد،  
وإنما أكد على أن ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٨، ١٧]. وأشار إلى أن الذين آمنوا بوحداية الذات  
الإلهية وبالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء، وعملوا صالحا  
في حياتهم الدنيا، وفق آية شريعة من الشرائع الإلهية الحققة، لا  
يمكن أن يستووا بالذين جحدوا الحق بعد أن عرفوه، فكفروا  
بالألوهية الواحدة، وبالغيب، ولم يعملوا صالحا، وتكذبوا كل  
شرائع السماء.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ  
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة ٦٢].

ورفض الإسلام كل الفلسفات والأنساق الفكرية التي رَعمت  
واجتمعت على أن العتف والقتال وسفك الدماء هي «غريزة  
وجيلة» مكرورة في طبيعة الإنسان.. وقرر أن القتال استثناء،  
وليس القاعدة، وشذوذا عن طبيعة القطرة السوية، وأنه مكتوب  
ومفروض على هذا الإنسان، بل ومكروه من الإنسان الذي يرتقى  
إلى المستوى الحقيقي للإنسان.. قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة  
غير المسبوقة، عندما قال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة ٢١٦].

وبيّنت السنة النبوية هذه الحقيقة القرآنية عندما قال رسول الله ﷺ: «لا تمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» [رواه الدارمي].

بل ويبلغ الإسلام على هذا الدرب غير المسبوق إلى الحد الذي أوجب فيه العدل حتى مع من تكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾

[البقرة: ٢٣]

بل والعدل حتى مع من يُقاتل ردّاً لعدوانه علينا ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٩].

كما سنّ الإسلام قواعد «للغروسية الإسلامية»، غير مسبوقة ولا ملحقة، في تاريخ الحروب، فالرسول ﷺ قد نهى عن قتل النساء والولدان، وكان إذا بعث سرية قال لهم: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا - أي لا تحونوا - ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً» [رواه البخاري، ومسلم، ومالك في الموطأ].

ولقد صاغ أبو بكر الصديق (٥١ق هـ - ١٣هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤م) رضي الله عنه - وهو على رأس دولة الخلافة الراشدة - هذه السنة النبوية «وثيقة لشمال الفروسية الإسلامية» عندما أوصى «يزيد ابن أبي سفيان» (١٨هـ / ٦٣٩م) وهو يودعه أميراً على الجيش

الذاهب إلى الشام، فقال له: «إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له. واتى أوصيب بعشر لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطعن شجرة مثمرة ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن» [رواه مالك في الموطأ].

تضمنت أخلاقيات القروسية الإسلامية آداب التعامل مع الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد... لأن «الخليقة الطبيعية» كلها حية، تسبح خالقها، وإن لم تفقه لغاتها في التسبيح. فالعلاقة الإسلامية بها هي علاقة تأخر ورقق وارتفاق، وليست علاقة قهر وتدمير واستغلال..

وقوق كل ذلك، حصر الإسلام أسباب ومبررات استخدام هذه الضرورة وهذا الاستثناء - القتال - في أمرين اثنين، هما رد العدوان عن العقيدة، ليتحرر الضمير، ويكون الدين كله لله.. ورد العدوان عن الوطن - الذي هو وعاء إقامة الدين - وذلك برءع الذين يخرجوننا من ديارنا أو يظاهرون على إخراجنا من الديار ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ (٧) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسخطوا إليهم إن الله يحب المتسطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿

[المنحعة: ٧ - ٩]



بل وحتى هذا القتال - الاستثنائي - المكروه، والمفروض - قد جعله الإسلام «تدافعاً»، المقصد من ورائه تعديل المواقف، وتحقيق التوازن العادل، ليحل محل الخلل القاحش، وصولاً إلى التعايش بين الفرقاء المختلفين. وليس «صراعاً» يستهدف أن يصرع طرف الطرف الآخر، فيلغيه. فالتعددية والاختلاف والتمايز سنة من سنن الله التي لا تبدل لها ولا تحويل. وإذا كان «الصراع» ينتهى بإلغاء هذه التعددية، والقضاء على الآخر ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُغِجَارٌ نَحْلٌ حَاقِيَةٌ﴾ (٧) فهل ترى لهم من نافية؟ [الحافة ٨٧]. فإن المقصد الإسلامى هو الإبقاء على التعددية، وتحقيق التوازن والتعايش بين فرقائها - بالتدافع لا بالصراع - ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَمَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدَاوَةٍ كَأَنَّهُ زُلَىٰ حَسِيمٌ﴾ [قصص ٣٤] فالتدافع سبيل للحياة، ولإصلاح الحياة. بينما الصراع هو طريق الفناء.

صنع الإسلام ذلك كله، حتى مع المشرك الذى يعبد الأوثان والأصنام من دون الله. أما مع أصحاب الشرائع الدينية، الذين جاء الإسلام وكل منهم ينكر الآخر ويلعنه فى صلواته ويصب عليه ألوان الاضطهادات والإبادات بحسبان ذلك مما يقربه إلى الله فإن الإسلام - فى تعامله مع أهل هذه الشرائع - قد أضاف إلى تقريره وحدة الألوهية والربوبية لكل العاملين، ولكل عوالم المخلوقات، أضاف إليها عقيدة الإيمان بكل الكتب السماوية التى نزلت. وجميع النبوات والرسالات التى سبقت. وسائر الشرائع الإلهية التى توالى منذ آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام.

فوحدة الدين والملة عبر التاريخ الإنساني تجعل جميع الأنبياء أبناء أب واحد - دين واحد - وتجعل شرائعهم المتعددة تنوعاً في إطار الدين الواحد - فأمهاتهم - شرائعهم - شتى، وأبؤهم - دينهم - واحد.. وصدق رسول الله ﷺ، عندما أكد هذه الحقيقة، فقال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد» (رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود).. وقال تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وبهذا الأفق الإسلامي في السماحة، احتضن الإسلام الكل، وجعل الإيمان فيه شاملاً لكل ما أوحى به السماء على مر تاريخ الوحي إلى كل الرسل والأنبياء.. وبذلك - ولأول مرة في التاريخ - جعل الإسلام «الأخر» جزءاً من «الذات»، فتجاوز بهذا المستوى غير المسبوق في السماحة مجرد الاعتراف بالآخرين والقبول بالآخرين؛ ولهذا كان الحديث الإيجابي والمتصف والموضوعي عما لدى الآخرين، فكتبهم، التي يعترف علماءهم بتلقيها ووضعها وتحريقها<sup>(١)</sup>، لم يعمم القرآن الكريم عليها هذا التحريف، وإنما تحدث عن هذه الكتب فقال

(١) انظر كتاب تاريخ بلد العبد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تحرير  
 الزمان شازار ص ٣٢، ٣١ - ٣٥، ٣٧ - ٣٩، ٤٤، ٥٠، ٥٢، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٨، ٧٠،  
 ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٣ - ٩٨، ٩٦ - ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١١٧، ١٣٦،  
 ١٤٤، ١٤٥، ١٥٥ - ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠ - ١٩٣،  
 ١٩٤ - ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦.

ترجمة أحمد محمد هويدى ترجمة محمد خليفة حسن طبعة القاهرة - سنة  
 ٢٠٠٠ م.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١٢١ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ١٣١ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾  
[آل عمران: ٤ - ٤]

وقال:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَصَدَّقَا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٤٦]

ولم يذم الإسلام الذين أثروا الشرائع الأخرى عن الاحتكام إلى ما بين أيديهم من الكتب، بل أمرهم بتحكيمها ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [السائدة: ٤٧]

﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [السائدة: ٤٨]

ووجدنا تطبيقات هذا الموقف، غير المسبوق في حوار الصحابي «حاطب بن أبي بلتعة» (٣٥ ق هـ - ٣٠ هـ / ٥٨٦ - ٦٥٠ م) مع «المقوقس» عظيم القبط بمصر، عندما حمل إليه «حاطب» كتاب رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ، ٦٢٨ م، فقال له: «إننا ندعوك إلى الإسلام الكافي به الله فقد ما سواد، ولسنا نهابك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به»<sup>(١)</sup>.

كذلك، بلغ الإسلام على درب العدالة والموضوعية والإنصاف الحد الذي جعله لا يهمل الفروق الدقيقة بين فصائل وثيارات أي

(١) ابن عبد الحكم أفلح مصر وأخبارها، ج ٤٦، مطبعة لبنان، سنة ١٩٢٠ م.

«آخر» من الآخرين.. فلم يعمم الأحكام ولا الأوصاف على أهل الكتاب، وإنما رأينا القرآن الكريم يقول

﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ يَقُولُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَا، اللَّيْلُ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

[آل عمران: ١١٣]

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَتًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ لَيَفْظُرَنَّهُ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ لَيُفْسِدَنَّكَ يَفْظُرَ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَفَعْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]

فلا يسوى القرآن ولا يعمم الأحكام والأوصاف على قصائل أهل الكتاب ودياراتهم وقرقيهم.. ثم يُقَعَدُ لقاعدة «عدم التعميم» هذه، فيقول ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٢]

ولم يقف الإسلام بهذا الأفق غير المسبوق في التسامح عند «الآخر» المتدين بديانات سماوية فقط - أهل الكتاب من اليهود والنصارى - وإنما امتد به ليشمل المتدينين بالديانات الوضعية فتركهم، هم أيضًا، وما يدينون، وعاملهم في الدولة الإسلامية معاملة أهل الكتاب.. فعندما فتح المسلمون فارس - وأهلها مجوس يعبدون النار - ويقولون بالبهن، أحدهما للخير والنور، والثاني للشر والظلمة - عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤ م) رضى الله عنه، أمرهم على «مجلس الشورى» -

الذي كان يجتمع بمسجد المدينة، في مكان محدد، وأوقات محددة.. وكان عمر يجلس معهم فيه، ويحدثهم على ما ينتهي إليه من أمر الآفاق والولايات والأقاليم.. فقال لأعضاء مجلس الشورى:

- كيف أصنع بالمجوس؟

فوثب عبد الرحمن بن عوف (٤٤ق. هـ - ٣٢ هـ / ٥٨٠ م) فقال:

- أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: «سنوا فيهم سنة أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>

فعمِلت الديارات الوضعية معاملة الكتابية، وجاء الفقهاء فقعدوا هذه السنة النبوية، وهذا التطبيق الراشدي لها فقالوا لقد كانت لهذه الديارات كتب ثم ضاعت.

وحتى ندرك سمو هذا الأفق الإسلامي الجديد، في السماحة والتسامح، والذي بدأ الإسلام به التاريخ الحقيقي للسماحة في مسيرة الإنسانية وشرائعها وفلسقاتها وحضاراتها، نلغى الأنظار إلى حقيقة أن الإسلام لم يصنع هذا الاعتراف «بلا آخر» والقبول لهذا «الآخر» وتمكين «الآخر» من إقامة عقائده لم يصنع الإسلام كل ذلك باعتباره مجرد «مباح» وحق من حقوق هذا «الآخر» وإنما جعل ذلك فريضة إسلامية، وشرطا لاكتمال الاعتقاد بعقائد الإسلام!

(١) البلاذري (فتوح البلدان) ص ٣٢٧ تحقيق د. صلاح الدين الصبحي الطبعة القديمة سنة ١٩٥٦ م



وأكثر من هذا، وفوقه.. أن الإسلام لم يقف بذلك الأفق السامى عند «الأخر» الذى يبادل الإسلام اعترافاً باعتراف، وقبولاً بقبول، وإنما صنعه مع «الأخر» الذى ينكر الإسلام ويجحده ويكفر بمقوماته - وكل الآخرين الذين ينكرو كل واحد منهم صاحبه، يجتمعون جميعاً، حتى هذه اللحظة، على إنكار الإسلام وجحوده والكفران به. فلا يؤمنون بأن قرآنه وحى سماوى، ولا بأن رسوله مبعوث الهى، ولا بأن ما جاء به دين الهى ومع كل ذلك ويرغمه، كان هذا هو موقف الإسلام - غير المسبوق وغير الملحق - فى الاعتراف بكل الآخرين، الذين ينكرونه ويجحدونه.. بل لقد تجاوز الاعتراف بهم والقبول لهم ووصل إلى حد جعلهم جزءاً من «الذات»، ذات الدين الإلهى الواحد. وذات الأمة الواحدة.. بل وجعل تمكينهم من حرية إقامة شعائهم - التى ربما جحدت الإسلام - شرطاً من شروط اكتمال عقيدة الإسلام، وإسلامية دولة الإسلام!

فهل فى تاريخ الدنيا والأمم والحضارات والشرائع والثقافات والفلسفات - قبل الإسلام وبعد - مساحة شبيهة بهذه التى بدأت بالإسلام.. والتى تغرد بها الإسلام؟

\*\*\*

## التطبيق الإسلامي للسماحة

ولم يكن هذا الذي قرره الإسلام، وابتكره، وأنجزه مجرد «فكر نظري» كتلك الوصايا «الصوفية - المثالية» التي تضمنتها كتب سابقة على القرآن الكريم، لم تعرف طريقها إلى أية تطبيقات في ممارسات ومجتمعات الذين «حملوها قلم يحملوها. واستحفظوا عليها قلم يحفظوها».. وانما تحول هذا الذي قرره الإسلام، وابتكره إلى «حياة.. ودولة.. وحضارة.. وتاريخ»

ففى دولة المدينة، التى رأس حكومتها رسول الله ﷺ، نص «دستورها» - (الصحيحة - الكتاب) - على التعددية الدينية لرعية هذه الدولة الإسلامية الأولى، وعلى مساواة العدل والإنصاف فى حقوق المواطنة بين هذه الرعية المختلفة والمتعددة فى الدين.

لقد حول الإسلام «القبائل» إلى لبنات فى بناء «الأمة» الجديدة، وجعل أبناء الشرائع الدينية المتعددة لبنات أصيلة فى هذه الأمة الواحدة، وفى رعية هذه الدولة الإسلامية الواحدة. حتى أن تاريخ الفكر الإسلامى لم يعرّف مصطلح «الأقلية»، وإنما عرف «الأمة الواحدة» التى جعل الإسلام تنوعها واختلافها - فى الشرائع الدينية، وفى الشعوب والقبائل وفى الألوان والأجناس، وفى الألسنة واللغات والأقوام، وفى المناهج والعادات والتقاليد والأعراف - سنة من سنن الله التى لا تبدل لها ولا تحوّل. نص «دستور» الدولة الإسلامية الأولى - الذى وضعه الرسول ﷺ عقب الهجرة إلى المدينة على أن «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن بطانة يهود ومواليهم كانوا يفسدهم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه

الصحيحة - وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه<sup>(١)</sup>

وهكذا أسس هذا «الدستور» - وفقى الدولة الإسلامية الأولى - لكامل المساواة والإنصاف في حقوق المواطنة وواجباتها، على نحو غير مسبوق وغير ملحق في الإطار غير الإسلامي، منذ ما يريد على أربعة عشر قرناً، ويزيد من عظمة هذا التجاز لهذه التعددية وهذه المساواة، أنها لم تتم على أنقاض الأديان المختلفة، وفقى ظل استبعاد هذه الأديان، كما هو الحال مع حقوق المواطنة في الدول العلمانية، وإنما هي تعددية ومساواة بين فرقاء يحتفظون بتنوعهم الديني واختلافاتهم العقائدية. كما أن هذه التعددية وهذه المساواة في حقوق السواطنة لم تتم على أنقاض المرجعية الإسلامية، وبسبب استبعادها - كما يريد العلمانيون - وإنما الذي أنجزها هو الإسلام، والتي حكمتها هي المرجعية الإسلامية، التي نص عليها هذا «الدستور» عندما قال: «وآته ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>

(١) (مجموعة الوثائق السياسية العهد العثماني، والجامعة الراشدة) ص ٦٦ - ٦٧، جميعها وحققها: محمد محمد الله الخيدر آبادي - طبعة القاهرة - سنة ١٩٥٦م

(٢) المصدر السابق ص ٢٠

وقى أول احتكاك بين هذه الدولة الإسلامية الأولى وبين النصارى، عندما اتسعت دائرة حدودها فشملت رعية نصرانية - هم نصارى «نجران» - كتب لهم رسول الله ﷺ عهداً وتعاقداً دستورياً قنن فيه هذه التعددية الدينية فى رعية الدولة، وكامل المساواة والإنصاف فى حقوق المواطنة وواجباتها، وجاء فى هذا العهد: «... ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها، قريباها وبعييدها، فصيحتها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغانبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفية ولا راهب من رهبانيتها ولا يحسرون - (أى لا يكفون بالقتال)، ولا يعشرون - (أى لا يدفعون العشر الذى يدفعه التجار الأجانب)، ولا يطاء أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبیتهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين - وأن أحمى جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان ومواطن السياح، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل، وإن أحرص دينهم وملتهم أين كانوا، من بر أو بحر، شرقاً وغرباً، بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى، ولا يدخل شىء من بشائهم فى شىء من أبنية المساجد ولا منازل المسلمين ولا خراج ولا جزية الا على من يكون فى يده مبرات



من ميراث الأرض ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدى ذلك على ما يؤديه مثله، ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططا، ولا يتجاوز به حد أصحاب الخراج من نظائره، ولا يكلف أحد من أهل الذمة الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال، وإنما أعطوا الذمة على ألا يكلفوا ذلك، وأن يكون المسلمون دبابا عنهم، وجوازا من دوتهم، ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذي يلقون فيه عدوهم بقوة وسلاح أو خيل، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به حمد عليه، وعرف له، وكوفي به، ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ويخفف لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد

ولا يحملوا من النكاح - (الزواج) - شططا لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطبا وأبوا تزويجا، لأن ذلك لا يكون إلا بظنية قلوبهم، ومسامحة أهواتهم، إن أحبوه ورضوا به، وإذا صارت النصرانية عند المسلم - (زوجة) - فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع شواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك، فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين

ولهم إن احتاجوا في مرمة بيعهم وصوامعهم أو أى شئ من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رقد - (مساعدة) - من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومنة لله ورسوله عليهم، لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذى استوجبوا حق الدمام، والذب عن الحرمه، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم...» -

وإذا كانت الدهشة تتمك قلوب وعقول أهل هذا العصر الحاضر من هذا السخاء فى المساواة والعدل والإنصاف الذى أعطاه الإسلام وديولته «لآخر الدينى» قيل أربعة عشر قرناً فإن هذه الدهشة - دهشة الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام - ستزاد وتتعاظم عندما يعلمون وتعلم الدنيا أن الإسلام لم يطلب من هذا «الآخر الدينى» مقابل كل هذا السخاء فى «الحقوق» سوى «واجب واحد» هو أن يكون هذا «الآخر» لبنة فى جدار الأمن الوطنى والحضارى للدولة الإسلامية، وأن يكون ولاؤه كاملاً للدولة والوطن، وانتماؤه خالصاً للأمة التى هو جزء أصيل فيها، ولا يكون ثغرة احتراق لحساب أى من الأعداء.

فنص ذلك العهد والميثاق الدستورى - الذى عقده رسول الله ﷺ مع نصارى «تجران» - على هذا الواجب، عندما جاء فيه: «واشترط عليهم أموراً يجب عليهم فى دينهم التمسك بها

والوفاء بما عاهدكم عليه، منها: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيقا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين قى سره وعلائيته، ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين يريدون به أخذ القرصة وانتهاز الوثبة، ولا يتزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عياداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا - (يساعدوا) - أحدا من أهل الحرب على المسلمين، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يضائعهم، وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواضع عياداتهم، أن يؤوؤهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم ولا يظهروا العدو على عوراتهم ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم.<sup>(١)</sup>

هكذا بلغ الإسلام القمة - غير مسبوق ولا ملحق - عندما جعل «الآخر» يحافظ على اختلافه ومغايرته، وحرس وحمل هذه المغايرة وهذا الاختلاف، مع جعل هذا «الآخر» جزءا من «الذات» أي الأمة الواحدة، ورعية الدولة الواحدة، وعندما جعل كل تلك جزءا من الاعتقاد الإسلامي والتكليف الإلهي والسنة النبوية والسياسة الشرعية وعهد الله وميثاقه، وليس مجرد حق من حقوق الإنسان يمنحه حاكم ويمتنعه آخرون!

(١) المصدر السابق، ص ١١٢، ١٢٣، ١٢٤.

## ... وعلى امتداد التاريخ الإسلامي

ولقد استمرت هذه السياسة الإسلامية مرعية في الدولة الإسلامية والحصارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي على امتداد هذا التاريخ.

فجميع الفتوحات الإسلامية قد دارت كل معاركها ضد جيوش القوى العظمى الباغية والغازية (الفرس والروم) التي استعمرت الشرق لعدة قرون، ولم تحدث معركة واحدة بين جيوش الفتح الإسلامي وبين أهل البلاد التي فتحها المسلمون، بل إن أهل هذه البلاد قد ساعدوا الجيوش الإسلامية بالدعم المادي والمعنوي، وأحياناً بالقتال ضد الفرس وضد الروم مع يقائهم على دياناتهم المغايرة للإسلام والموافقة لديانات الفرس والروم صنع ذلك أهل العراق.. ونصارى الشام.. وأقباط مصر..

وعندما حررت الجيوش الإسلامية بلادهم، حررت كذلك ضمائرهم من الأضطهاد الديني الذي عانوا منه عدة قرون، فتركوا - لأول مرة في تاريخهم - وما يدينون، وأصبحوا جزءاً من رعية الدولة الإسلامية، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وظلوا أغلبية غير مسلمة في بلادهم لعدة قرون، حتى دخل منهم من دخل في الإسلام دون إكراه بل وبدون تهريب، وفي أحيان كثيرة دون ترغيب، وبقي من بقي منهم على نصرانيته أو يهوديته أو زرادشتيته، شاهدين بذلك على هذه السماحة غير المسبوقة التي جاء بها الإسلام، والتي وضعتها دولته وحضارته في الممارسة والتطبيق.

وكما جعل الإسلام هذا «الأخر الديني» جزءاً أصيلاً من الأمة الواحدة والرعية الواحدة للدولة الإسلامية، فتح أمام هذا «الأخر» باب الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وذلك بعد أن استوعب الإسلام كل الصوارث الحضارية السابقة التي قهرها الغزاة - الإغريق والرومان - فأحيوها الإسلام، وترجم المسلمون علومها وقنونها. فدخلت تلك الموارث في النسيج الجديد للحضارة الإسلامية الجديدة، فكان الإحياء الإسلامي لعلوم وقنون وفلسفات مدارس «الأسكتدرية» و«أستطاكية» و«جنديسابور» وغيرها الإنقاذ الإسلامي للتراث الحضاري الإنساني من الفهر والضياع، الأمر الذي جعل الحضارة الإسلامية الجديدة بالنسبة لشعوب البلاد التي دخلت في الدولة الإسلامية الطور الجديد لحضارتهم الوطنية والقومية والحضارية، مع بقاء التنوع الديني حقاً مقدساً من حقوق الصمير، لا سلطان عليه إلا الله: لأن الدين لله وحده، ولا يمكن أن يتأتى تدين حق مع أي لون من ألوان الإكراه.

وكما فتح الإسلام الأبواب أمام هذا «الأخر الديني» للإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، ترك هذا «الأخر» ليدبر دواليب «الدولة» ودواوينها، حتى وجدنا مستشرقاً ألمانياً حجة - هو «آدم عتر» (١٨٦٩ - ١٩١٧ م) - يشهد هذه الشهادة التي تقول «لقد كان النصاري هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»<sup>(١)</sup>

(١) آدم عتر (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) ج ١، ص ١٠٥  
ترجمة: محمد عبد الهادي أبو زيد - مطبعة بيروت - سنة ١٩٦٧ م



ووجدنا المستشرق الإنجليزي «سير توماس أرنولد» (١٨٦٤-١٩٣٠م) يعلن عن سماحة الإسلام عندما يقول - وهو الشديد التدين بالنصرانية - «إنه من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجته من التسامح لأنجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتميزين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية. أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»<sup>(١)</sup>

ولقد صدق على هذه الشهادة وفصل مجملها الكاتب النصراني اللبناني «جورج قهرم» عندما حصر أسباب التوتر الطائفي التي عرّضت لقنترات قليلة وعابرة، في تاريخ المجتمعات الإسلامية، في ثلاثة أسباب:

١- المزاج الشخصي المختل لحكام اضطهدوا الأغلبية مع الأقليات.

٢- الظلم والاستغلال الذي مارسته الزعامات والقيادات النصرانية واليهودية التي تولت الوزارة وقبضت على جهاز الدولة المالي والإداري، والتي كانت سوط عذاب للأغلبية الفقيرة من المسلمين. الأمر الذي ولد ردود أفعال وقتلنا لم تقف عند الذين ظلموا وحدهم دون سواهم.

(١) سير توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٧٢٩، ٧٣٠ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عامين، إسماعيل النجراوي - طبعة القاهرة - سنة ١٩٧٠م.

٣- استجابة قطاعات محدودة من أبناء الأقليات الدينية لغوايات المستعمرين والغزاة لبلاد الإسلام، الأمر الذي ولد ردود أفعال وقتنا لم تميز - في الأقليات - بين القلة التي سقطت في شباك الغواية والخيانة وبين جمهور هذه الأقليات. حصر هذا الباحث النصراني هذه التوترات الطائفية - العارضة في التاريخ الإسلامي - بهذه الأسباب الثلاثة، وكتب يقول:

«إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة، وكان يحكمها ثلاثة عوامل:

العامل الأول هو مزاج الخلفاء الشخصى، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الأميون وقعا في عهد المتوكل (٢٠٦ - ٢٤٧هـ / ٨٢١ - ٨٦١م) الميل بطبعه إلى التعصب والقسوة. وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٧٥ - ٤١١هـ / ٩٨٥ - ١٠٢١م) الذي غالى في التصرف معهم بشدة.

العامل الثانى هو تدرى الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية لسواد المسلمين والظلم الذى يمارسه بعض التمييزيين المعتلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن تدرك صلتها المباشرة بالاضطهادات التى وقعت في عدد من الأمصار.

العامل الثالث وهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبى في البلدان الإسلامية وقيام الحكام الأجانب بإعراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية

المسلمة. إن الحكام الأجانب - بمن فيهم الإنجليز - لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب - وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضاً، حيث أظهرت أبحاث «جب» و «بولياك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلق دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة ١٨٦٠م، وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة ١٨٤٠م و ١٨٦٠م، ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها في أماكن عديدة، أعمال ثار وانتقام ضد الأقليات المسيحية - ولا سيما الأرمن - التي تعاونت مع الغازي

بل إنه كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح، سبباً في نشوب قلق طائفية، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين في الابتزاز، وفي مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة أحياناً، لأبناء دينهم، ما كان ينذر أن تصدر منهم استقرارات طائفية بكل معنى الكلمة»<sup>(١)</sup>.

تلك هي شهادة الباحثة النصراني اللبنانية التي تقضى على شهادة المستشرق اللصرائي الإنجليزي.. حول أسباب التوترات الطائفية العابرة في تاريخنا الإسلامي

(١) جورج قريم (تعدد الأديان وتظم الحكم دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة) ص ٢١١ - ٢٢٤ - طبعة بيروت - سنة ١٩٧٩م - والنقل عن د. سعد الدين إبراهيم (البلل والنحل والأعراق) ص ٧٢٩، ٧٣٠ - طبعة القاهرة - سنة ١٩٩٠م.

وإذا شئتنا وقائع من التاريخ - غير ما أشار إليه «جورج قورم» -  
 - شهادة على صدق هذا التحليل والتعليل، فما علينا إلا أن ننظر  
 فيما كتبه «المقريزي» (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٥ - ١٤٤١ م) عن  
 استعلاء النصارى واليهود الذين تولوا الوزارة والحياة والإدارة  
 في العصر الفاطمي<sup>(١)</sup> وما كتبه «المقريزي» - أيضاً - عن استقواء  
 نصارى دمشق «ببولاكو» والقتار، وقائد الثثار - النصراني  
 النسطوري - «كتيغا» إبان الاحتياح التتاري للمشرق العربي  
 والإسلامي، وما أثارتها هذه الخيانة من رد فعل جعل السلطان  
 «قطز» (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) يوقع بهم عقاباً شديداً عقب الانتصار  
 على التتار في «عين جالوت» (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م).<sup>(٢)</sup> وأن نقرا -  
 أيضاً - ما كتبه «الجبرتي» (١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ / ١٧٥٤ -  
 ١٨٢٢ م) عن خيانة «المعلم يعقوب حنا» (١٧٤٥ - ١٨٠١ م) -  
 والذي يسميه «الجبرتي» «يعقوب اللعين» - والفيلق القبطي الذي  
 جنده وقاده وحارب به الشعب المصري لحساب الحملة الفرنسية  
 التي قادها «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) ضد عصر ١٢١٣ هـ  
 ١٧٩٨ م)، وكيف «عهد الجنرال «كليبر» (١٧٥٣ - ١٨٠٠ م) إلى  
 الجنرال يعقوب أن يفعل بالمسلمين ما يشاء - حتى تطاول هو  
 وأنصاره على المسلمين بالسب والضرب، وبألوا متهم أعراضهم

(١) المقريزي (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) ص ٢٩٧ - ٢٩٨ - طبعاً  
 القاهرة - سنة ١٩٦٧ م. (والخط) ج ٣ ص ١٢٣ - طبعه دار التحرير بالقاهرة  
 (٢) «المقريزي» (كتاب السلوك إلى دول الملوك) ج ١ ق ٢ ص ٤٣٥ - ٤٣٦ تحقيق - محمد  
 مصطفى رشادة - طبعه القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصالح مكاناً؛ وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»<sup>(١)</sup>.

وما أحدثته هذه الاستجابات لغوايات الغرب والمستعمرين من توترات طائفية في النسيج الوطني والقومي والحضارى فى تلك الفترات من التاريخ

لكنها ظلت فى إطار «التوترات العابرة» التى ارتبطت بفترات الغزو، وبلاستجابات المحدودة من قطاعات محدودة لغوايات الغزاة. بينما قلل النسيج الوطنى والقومى والحضارى مجسداً للتنوع فى إطار الوحدة، وبالاختلاف فى إطار الأمة الواحدة، والحضارة الواحدة، والقومية الواحدة والدولة الواحدة، تلك الجوامع التى أنجزتها سماحة الإسلام

\*\*\*

(١) الجبروتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ج ٥ ص ١٣٦ تحقيق حسن محمد جوهى - عمر الدينوقى، السيد إبراهيم سالم - طبعة القاهرة - سنة ١٩٦٥



## نظرة مقارنة

وإذا كان الشئ يظهر حسنه الضد، ويصدها تتميز الأشياء،  
فما علينا إلا أن نقارن بين هذه الأمثلة

مثال انتصار الإسلام على الشرك الوثنى، ذلك الذى فتح  
المسلمين فى دينهم، وأخرجهم من ديارهم، وعلى الخيانة  
اليهودية، التى تحالفت مع الشرك الوثنى ضد التوحيد الإسلامى -  
انتصار الإسلام عليهم، فى عشرين موقعة - فى التى دار فيها  
قتال - ما بين سنة ٢ هـ وستة ٩ هـ هذا الانتصار الذى غير وجه  
الدنيا والحضارة والتاريخ، وكيف أن ضحايا هذه المعارك - من  
القرىقيين - لم تتجاوز ٣٨٦ قتيلًا - ١٨٣ هم مجموع شهداء  
المسلمين و ٢٠٣ هم كل قتلى المشركين<sup>(١)</sup>.

بينما نجد الحرب الدينية - التى دامت أكثر من قرنين - داخل  
التصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت، فى القرنين السادس عشر  
والسابع عشر - قد أبيد فيها ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا - ووفق إحصاء  
«فولتير» (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) بلغ ضحاياها عشرة ملايين نصرانى<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر ابن عبد البر (الدرر فى اختصار المغازى والسير) تحقيق د شوقي صيف -  
طبعة القاهرة - سنة ١٩٦٦ م. وانظر كتابنا (الإسلام والأخر) ص ٦٥ - طبعة  
القاهرة - سنة ٢٠٠١ م.

(٢) انظر فى هذه الحروب الدينية ول ديورانت (قصة الحضارة) مجلد ٦ ج ٣، ٤،  
ترجمة د عبد الحميد يونس - طبعة القاهرة - سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ م. وسير توماس  
أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠ - ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ - ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦،  
١٤١، ١٤٣، ١٥٤ - ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦. ويطرس البسفانى (دائرة  
المعارف) - مادة «حروب دينية» - طبعة القاهرة الأولى. وهاشم صالح - صحيفة  
«الشرق الأوسط» - لندن - ع ٢٦ - ٢ - ٢٠٠٠ م.

مثال ثانٍ تقارن فيه بين ترك الإسلام القاس وما يدينون،  
 لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة ٢٥٦].. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ  
 فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف ٢٦].. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾  
 [التكوير ٦].. ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا حَا وَتَوَّ شَاءَ اللَّهُ لَجْعَلَكُمْ أُمَّةً  
 وَاحِدَةً﴾ [الحائدة ٤٨].. وهى المبادئ والقواعد والتشريعات  
 القرآنية التى جسدتها عهود ومواثيق رسول الله ﷺ مع اليهود  
 والنصارى..

تقارن بين هذا المثال الإسلامى وبين اغتيال الكنيسة  
 الأوروبية لحرية الاعتقاد الدينى بمحاكم التفتيش التى أعلت  
 التعذيب والسجن والإحراق والإغراق والإعدامات على الخواريق  
 لأكثر من ثلاثة قرون<sup>(١)</sup>.. وكذلك، ما صنعه العلوك والأمرأة  
 والقساوسة عندما فرضوا على الناس بحد السيف ديانة  
 النصرانية رغم صوفيتها المسالمة وسلامتها المتصوف  
 ووصاياها بحب الأعداء ومباركة اللاعنين.. وبشهادة «السير  
 توماس أرنولد» فان شارلمان (٧٤٢ - ٨١٤م) قد فرض المسيحية  
 فى السكسونيين بحد السيف. وكذلك صنع الملك «كنوت» فى  
 الدانمرك وجماعة إخوان السيف فى بروسيا. والملك «أولاف  
 ترايغفيسون» فى جنوب النرويج، والأمير «فلاديمير» فى  
 روسيا سنة ٩٨٨م. والأسقف «دانيال بيتروفيتش» فى الجبل  
 الأسود. والملك «شارل روبرت» فى المجر. والملك «سيف أرعد»

(١) د. توفيق الحويل (قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام) ص ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٣. طبعة القاهرة - سنة ١٩٩١م.

فى الحبشة. كل هؤلاء استأصلوا المخالفين لمسيحياتهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وذبحوهم ونفّوهم وشرّدوهم، بمجرد تدين هؤلاء الملوك والأمراء بالنصرانية<sup>(١)</sup>

مثال ثالث نقارن فيه بين سماحة الإسلام، التى جعلت الدولة الإسلامية «متنّدي» تتعدد فيه الديانات والمذاهب واللغات والقوميات والأجناس والألوان، على امتداد تاريخ الإسلام، منذ دولة النبوة فى المدينة المنورة وحتى هذه اللحظات، وبين ضيق الغرب بالتعددية حتى داخل القصرانية أى بالتعددية المذهبية - حتى أنه لم يعرف التعددية إلا على أنقاض سلطان النصرانية وفى ظل العلمانية، ثم رأيتاه - حتى فى ظل هذه العلمانية، ودعاوى الحرية وحقوق الإنسان - لا يزال ضيق الصدر «بالآخر الإسلامى»<sup>(٢)</sup> قفى داخل المجتمعات الغربية يرى الوجود الإسلامى عرقاً وفتحاً إسلامياً لأوروبا، فيقول كبار قساوسة الغرب «إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً وإن العالم الإسلامى قد بدأ ببسط سيطرته بفضل دولارات النفط وهو يبتلى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية. فكيف يمكننا ألا نرى قى ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً»<sup>(٣)</sup>

(١) (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠، ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦

(٢) الكاردينال «بول بويل» - مساعد بابا الفاتيكان، وحسنول المجلس الفاتيكاني للثقافة - من حديث إلى صحيفة «الفيغارو» الفرنسية والموسيقى «جوريج برنارديني» - قى حضرة بابا الفاتيكان - انظر صحيفة «الشرق الأوسط» - ١٠ - ١٩٩٩ م

أما في ديار المسلمين، فلقد سعى هذا الغرب النصراني -  
برعاية ودعم العلمانية الغربية للكنائس الغربية - إلى تنصير  
المسلمين في ديارهم.. فجاء في «بروتوكولات» قساوسة التنصير،  
الذين اجتمعوا في مؤتمر «كولورادو» بأمريكا - مايو سنة ١٩٧٨م -  
«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس  
النصرانية.. والنظام الإسلامي هو أكثر الظلم الدينية المتناسقة  
اجتماعيًا وسياسيًا. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز لفهم  
الإسلام. ولاختراقه في صدق ودهاء.. ولذلك، لا يوجد لدينا أمر أكثر  
أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين»<sup>(١)</sup>

ولقد خططوا - في وثائق هذا المؤتمر - لاختراق الثقافة  
الإسلامية، والوصول إلى تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل  
على الكنائس الوطنية والمحلية والعمالة الفنية المدنية الأجنبية  
وبالتركيز على المرأة والمبعوثين المسلمين في المجتمعات  
الغربية.. وباستخدام الفنون والآداب.. بل وبصناعة الكوارث التي  
تخل بتوازن المسلمين فتسهل تحولهم عن الإسلام إلى  
النصرانية! فقالوا: «لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلا بد  
من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس - أفرادًا وجماعات -  
خارج حالة التوازن التي اعتادوها! وقد تأتي هذه الأمور على  
شكل عوامل طبيعية، كالغفر والمرض والكوارث والحروب، وقد  
تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية أو الوضع الاجتماعي  
المتدني. في غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك

(١) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) ص ٢٢، ٢٣، ٢٥ - وثائق مؤتمر

«كولورادو» - الطبعة العربية - حائط سنة ١٩٩١م

تحولات كبيرة إلى النصرانية؛ ولذلك، فإن تقديم العون لدوى الحاجة قد أصبح أمراً مهماً فى عملية التنصير؛ وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكومتها التى كانت تناهض العمل التنصيرى، فأصبحت أكثر تقبلاً للتصارى...»<sup>(١)</sup>.

وكذلك، سعى الغرب «السياسى - العلمانى» إلى شن حرب داخل الإسلام، لإرغام الإسلام على قبول «العلمانية الغربية» التى تجعله «صيفة نصرانية، يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وعلى قبول «الحداثة» - بمعناها الغربى - التى تقيم قطيعة معرقية كبرى مع الله والغيب، عندما «تواتس» الدين، فتفرقه من الدين»<sup>(٢)</sup>.

هذه «الحداثة الغربية» التى عرقها أنصارها بأنها إحلال الدين الطبيعى محل الدين الالهى، فالدين الطبيعى هو الدين الحقيقى<sup>(٣)</sup>، وبأنها القول بمرجعية العقل وحاكميته، وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة محل إمبيرىالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون<sup>(٤)</sup>.

تلك مجرد أمثلة ثلاثة من الجانب الآخر، للذين يحتاجون إلى المقارنات..

(١) المصدر السابق ص ٤، ٥، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٥٣، ٥٦، ٨٤٧، ٩٤٢، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤٦٩، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٤٤، ٧٣٢، ٧٧٣، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٤٥، ٨٨٠. وانظر كتابنا (الغارة الحديفة على الإسلام) - طبعة القاهرة - سنة ١٩٩٨م.

(٢) فوكوياما - مجلة «نيوزويك» - الأمريكية - العدد السنوى - ديسمبر سنة ٢٠٠١م - فبراير ٢٠٠٢م.

(٣) هاشم صالح - صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - فى ١٣ - ١٢ - ٢٠٠١م.

(٤) د. على حرب - صحيفة «الحياة» - لندن فى ١٨ - ١١ - ١٩٩٦م.



## الخاتمة

هكذا بدأت السماحة في تاريخ الإنسانية بظهور الإسلام. وهكذا وضعت الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية هذه السماحة في الممارسة والتطبيق، عبر تاريخ الإسلام والمسلمين.. ومن حق المسلمين أن يباهوا الدنيا بهذا المستوى الإسلامي، غير المسبوق والمتقطع النخيل في السماحة التي تجاوزت الاعتراف بالآخر - الذي يبادل الإسلام اعترافاً باعتراف - إلى مستوى الاعتراف بالآخر الذي لا يعترف بالإسلام، وإنما يحده وينكره ويكفر به. والشئ جعلت تمكين هذا الآخر من إقامة كفره بالإسلام جزءاً من عقيدة الإسلام، وواجباً من واجبات الدولة الإسلامية. حتى لقد بلغ الإسلام - على هذا الدرب - الحد الذي جعل فيه هذا «الآخر» جزءاً لا يتجزأ من «الذات» الوطنية والقومية والحضارية، كما جعل الأقوام والأعم والشعوب والقبائل والحضارات تنوعاً في إطار الإنسانية التي أراد الله سبحانه وتعالى لها هذا التنوع وهذه التعددية سنة قاصدة إلى يوم الدين.. وإذا كان الشئ يظهر حسنه الضد ويضدها تنجيز الأشياء، فإن عظمة هذه السماحة الإسلامية تزداد بهاء وجلالاً عندما نراها في ضوء هذا «اليؤس» الذي صنعه ولا يزال يصنعه؛ وإذا كان من حق المسلمين أن يباهوا بهذه السماحة الإسلامية فإن من شيم العقلاء وواجباتهم فقه هذه السماحة والتعلم منها

والاستجابة إلى كلمتها الإسلامية السواء.. وذلك بدلا من شن  
الحروب الصليبية.. والدينية.. والحديث عن صدام الحضارات  
وحروب الثقافات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام  
وسماحة الإسلام.

\*\*\*

## الفهرس

- ٣ تمهيد
- ٤ قبل الإسلام
- ٩ بالإسلام بدأ تاريخ السماحة
- ١٩ التطبيق الإسلامى للسماحة
- ٢٠ مع اليهود
- ٢٣ ومع النصارى
- ٢٦ وعلى امتداد التاريخ الإسلامى
- ٣٣ نظرة مقارنة
- ٣٨ الخاتمة
- ٤٠ الفهرس

## سلسلة «في التنوير الإسلامي»

- ١- الصحوة الإسلامية في عيون عربية
- ٢- الغرب والإسلام
- ٣- أبو حنبل التوحيدي
- ٤- دراسة قرآنية في فقه الفجر الحضاري
- ٥- رائد بين العرب والإسلام
- ٦- الانتعاش الثقافي
- ٧- نصير العالم
- ٨- النهضة: الوثبة الإسلامية والمجدييات
- ٩- جراح القيم بين العرب والإسلام
- ١٠- يوسف القضاوي: الدرر الفكرية والشرع الفكري
- ١١- تأملات في التفسير الحضاري للقرآن الكريم
- ١٢- عسفا: حلت مصر في دين الله
- ١٣- الحركات الإسلامية رؤية نقدية
- ١٤- السباح القلبي
- ١٥- النور - الشعبي
- ١٦- ميجية التغير بين الوطنية والتمدن
- ١٧- تجديد الدين بتجديد الدين
- ١٨- الثورات والتغيرات في الحجة الإسلامية الحديثة
- ١٩- نقرة الإسلام وأصول الدين
- ٢٠- التقدم والإصلاح - التنوير العربي أم التخليد
- ٢١- فكر حركة الإسراء - ونداءه
- ٢٢- جراح التنوير في الغرب من سائر روافد الحضارة
- ٢٣- إسلامية القرآن حول النفس والمصير
- ٢٤- الحضارة العلية - واقع المصراع
- ٢٥- تنمية الأجداد في الغرب: أم التخليد
- ٢٦- الصلة الجديدة في الدين
- ٢٧- الجملة في عيون عربية - إسلاميونية
- ٢٨- الأزمات الدينية والحضرة حرم وروحه أم غيب واختلال
- ٢٩- بركات المرأة ومفردات المرأة
- ٣٠- بعد المرأة ومفردات المرأة
- ٣١- الدين والفرق والفرقة والمنفعة والعجز
- ٣٢- محمد عمار
- ٣٣- محمد عمار
- ٣٤- محمد عمار
- ٣٥- سيد رسولي
- ٣٦- محمد عمار
- ٣٧- محمد عمار
- ٣٨- محمد عمار
- ٣٩- محمد عمار
- ٤٠- محمد عمار
- ٤١- صلاح الساي
- ٤٢- محمد عمار
- ٤٣- محمد عمار
- ٤٤- محمد عمار
- ٤٥- محمد عمار
- ٤٦- محمد عمار
- ٤٧- محمد عمار
- ٤٨- محمد عمار
- ٤٩- محمد عمار
- ٥٠- محمد عمار
- ٥١- محمد عمار
- ٥٢- محمد عمار
- ٥٣- محمد عمار
- ٥٤- محمد عمار
- ٥٥- محمد عمار
- ٥٦- محمد عمار
- ٥٧- محمد عمار
- ٥٨- محمد عمار
- ٥٩- محمد عمار
- ٦٠- محمد عمار
- ٦١- محمد عمار
- ٦٢- محمد عمار
- ٦٣- محمد عمار
- ٦٤- محمد عمار
- ٦٥- محمد عمار
- ٦٦- محمد عمار
- ٦٧- محمد عمار
- ٦٨- محمد عمار
- ٦٩- محمد عمار
- ٧٠- محمد عمار
- ٧١- محمد عمار
- ٧٢- محمد عمار
- ٧٣- محمد عمار
- ٧٤- محمد عمار
- ٧٥- محمد عمار
- ٧٦- محمد عمار
- ٧٧- محمد عمار
- ٧٨- محمد عمار
- ٧٩- محمد عمار
- ٨٠- محمد عمار
- ٨١- محمد عمار
- ٨٢- محمد عمار
- ٨٣- محمد عمار
- ٨٤- محمد عمار
- ٨٥- محمد عمار
- ٨٦- محمد عمار
- ٨٧- محمد عمار
- ٨٨- محمد عمار
- ٨٩- محمد عمار
- ٩٠- محمد عمار
- ٩١- محمد عمار
- ٩٢- محمد عمار
- ٩٣- محمد عمار
- ٩٤- محمد عمار
- ٩٥- محمد عمار
- ٩٦- محمد عمار
- ٩٧- محمد عمار
- ٩٨- محمد عمار
- ٩٩- محمد عمار
- ١٠٠- محمد عمار

٣٢- بحوث في العولمة على الهوية الثقافية	د محمد عمارة
٣٣- الغناء والموسيقى خلال أم حرام	د محمد عمارة
٣٤- صورة العرب في أمريكا	ترجمة وإعلاق / أ. ثابت عبد
٣٥- هل المسلمون أمة واحدة	د محمد عمارة
٣٦- السنة والجمعة	تقديم وإعلاق / د محمد عمارة
٣٧- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وإعلاق / د محمد عمارة
٣٨- قضية المرأة بين التشريع والنموذج حور الأتلي	د عبد الوهاب المسيري
٣٩- مركبة الإسلام	أ. منصور أبو شامس
٤٠- الإسلام كسائن من د - ضوابط وتلامذ	د يوسف المصاوي
٤١- صورة الإسلام في الشتات الغربي	ترجمة / أ. ثابت عبد
٤٢- تحليل الواقع بمفاهيم العاهات الغربية	د محمد عمارة
٤٣- القدس بين اليهودية والإسلام	د محمد عمارة
٤٤- بارك المسحوق العظماء في أوروبا (عبادة السادة)	تقديم وإعلاق / د محمد عمارة
٤٥- الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق	د صلاح الدين سلطان
٤٦- الآثار التربوية للعبادات في العقل والوجد	د صلاح الدين سلطان
٤٧- الحب النبوية والمعرفة الإنسانية	د محمد عمارة
٤٨- مقومات حضارة في القصص القرآني	د عبد الوهاب
٤٩- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د محمد عمارة
٥٠- الاعلان الاسلامي تصديق الأمان	تقديم / د محمد عبد الوهاب
٥١- عن الغرائز الكريمة	الشيخ / أمين الخولي
٥٢- في مقام الأخلاق الصالحة	د محمد عمارة
٥٣- مستقبل بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	أ. منصور أبو شامس
٥٤- مركبة التوحيد	مختار / طارق المنصور
٥٥- نعل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون	محمود العاصم د. عاتق
٥٦- السنة التشريعية وغير التشريعية	الشيخ / علي الخشت
٥٧- شهادت حور الإسلام	د محمد عمارة
٥٨- حور عبد الله الإسلامي	د والم أبو شامس
٥٩- واقفا بين العالمية وعضام الحضارات	تقديم وتقديم الوهاب
٦٠- رياء المسلمين الإسلامية	د سيد الدين عبد الوهاب
٦١- المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية	د محمد عمارة
٦٢- شهادت حور الغرائز الكريمة	د محمد عمارة



٦٣- أزمة العقل العربي

٦٤- في التحرير الإسلامي للمرأة

٦٥- روح الحضارة الإسلامية

٦٦- العرب والإسلام افقرادات لها تاريخ

٦٧- الساحة الإسلامية

٦٨- الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانياً؟

٦٩- صلة الإسلام بإصلاح المسيحية

٧٠- بين التحديث والتحديث

٧١- الموقف والتنمية المستقلة

٧٢- الرسالة الغرائبية والتفسير الحضاري للقرآن الكريم

د. فؤاد زكريا

د. محمد عمارة

د. محمد عمارة

الشيخ / محمد العاقيل بن عاشور

تعليل وتقديم / د. محمد عمارة

د. محمد عمارة

د. محمد عمارة

د. محمد عمارة

الشيخ / أمين الخولي

تقديم / الإمام الأكبر الشيخ /

محمد مصطفى المراغي

تمهيد / د. محمد عمارة

د. سيف الدين عبد الفتاح

تقديم / د. محمد عمارة

د. إبراهيم النبوي غانم

تقديم / د. محمد عمارة

د. سيد اسوقى حيدر



احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)  
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع: [www.enahda.com](http://www.enahda.com)



## إلى القارئ العزيز

### في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث.

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا « التنوير الإسلامي » للقراء، تصدر هذه السلسلة، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- |                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| • د. محمد عـمارة       | • المستشار/ طارق البشري |
| • د. سيف عبد الفتاح    | • د. محمد سليم العوا    |
| • أ. فهمي هويدي        | • د. يوسف القرضاوي      |
| • د. سيد دسوقي         | • د. كمال الدين إمام    |
| • د. عبدالوهاب المسيري | • د. شريف عبدالعظيم     |
| • د. عادل حـسين        | • د. صلاح الدين سلطان   |

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح : لإضاءة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

